

دار الرشيد

نهاوند

فتح القسوم

(طبعة ثانية)

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

شوقي أبو خليل



● « اللهم اعزز دينك وانصر عبادك ،
واجعل النعمان أول شهيد اليوم ...
اللهم اني أسالك أن تفر عيني اليوم بفتح
يكون فيه عز الاسلام ...
آمنوا يرحمكم الله »
« النعمان بن مقرن المزني »
شهيد نهاوند ،
شهيد فتح الفتوح .

تصدر

● « يموت الجبان مرات عديدة قبل موته ... أما المشجاع المقدام فلا يكاد يذوق طعم الموت الا مرة واحدة ... »

● امتنا العربية تقف امام عدو يظن بعضنا انه عدو نصب العداء لهذه الامة منذ مطلع القرن العشرين فقط . والحقيقة أن هذا العدو ، عدو قديم ، انه عدو الامس البعيد . عدو عرفته أمتنا منذ تأسيس نواتها في المدينة المنورة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● **عدو اليوم ، هو عدونا بالامس ،** عدو اجدادنا ، ولكن عرف اجدادنا كيف يقتصون منه ويعلمونه ويقنعونه ان هذه الامة قد تغيرت وتبدلت .

لقد افهم اجدادنا « **عدو الامس الذي هو عدو اليوم** » أن العرب الذين كانوا في الجاهلية (وعلى رأسهم الفساسنة في سورية ، والمناذرة في العراق) يدينون للقيصرة والاكاسرة في عقر ديار العرب بالولاء والطاعة ، حتى انهم نظروا الى الفرس نظرة اكبار ومهابة ، وراوا الروم أهل العزة والقوة والحضارة ...

هؤلاء العرب ؛ تبدل حالهم بالاسلام من حال الى حال ...

لقد شعر ((أعداء الامس الذين هم أعداء اليوم)) أن هذه الامة تفيّرت وتوحّدت وتجمّعت وتكاتفت ... آمنت بربها فانطلقت في الافاق لا تلوي على شيء سوى تحقيق رضاه .

● كيف ((باعداء الامس الذين هم أعداء اليوم)) أن يرضوا بهذا التحويل الجذري؟! هذا التغير الاجتماعي والروحي والفكري!... فلئن استمر العرب على هذه الروح فلا بقاء لليهود في جزيرة العرب ، سيتلاشى كيد ((عدو الامس الذي هو عدو اليوم)) وسيمحق غدره وتحطم وقيعته . اذا التحمت القبائل العربية كلها حول والدها الحنون ، حول بانيها العظيم الحبيب ، حول رسول الله ، فلا مكان لدسيسة يهودي أو وقية لا فراغ لها بعد التحام العرب حول قطب رحاهم ، فما العمل؟ .

● فكر ((أعداء الامس الذين هم أعداء اليوم)) بالمكائد والتحريض فكروا بالكذب والخديعة ، وعرف رسول الله « ص » وصحابه الكرام كيف تكون معاملة اليهود ، عرفوا كيف يعامل امثال هؤلاء الذين طبعت ارواحهم على الصفات الخبيثة ، فاقصوا منهم ، وتركوا لنا في قصاصهم قدوة مثالية حسنة .

● فما أن عاد رسوا، الله « ص » من بدر منتصراً ، حتى أظهر له اليهود الحسد بما فتح الله عليه ، فبغوا ونقضوا العهد وقالوا : « يا محمد ، لا يفرتك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » .

هذه الكبرياء ، وهذا التعالي ، وهذه العظمة المصطنعة المبنية

على حال تفير وتبدل ، ستزهق كلها ، ذلك ان الاسلام صنع من نفوس العرب ابطالا لا يرضون بمثل هذا التحدي المتعجرف وممن ؟ من اخس خلق الله . . .

● الجبن والحرص على الحياة مطبوع في نفوس « أعداء اليوم الذين هم أعداء الامس » ، فانهم يكرهون لقاء عدوهم في الميادين المكشوفة : « لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة او من وراء جدر » (١) . لكن رسول الله بتربيته العظيمة لاصحابه استطاع ان يصل اليهم ، اما هم فقد جبنوا ان يجابها الدعوة الجديدة جهره وعلانية في ميدان مكشوف ، فصارت قلاعهم وحصونهم حول المدينة المنورة مركزا للمؤامرات . . .

●● كيف اقتنص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؟

— ان تربيته العظيمة التي ربى عليها اصحابه جعلت كل واحد منهم فدائيا ، واصبح للموت فلسفة عندهم ، اصبح الموت « او الشهادة » ببساطة : لقاء الله ، وكيف يخشى المحب لقاء محبوبه ؟ الموت : طريق الى الله ، انتقال الى حياة افضل . فالحياة متصلة في فلسفة الاسلام . فعند لقاء العدو يبذل المؤمن الجسد الترابي لتعرج الروح الى خالقها . . . بهذه الروح حقق رسول الله « ص » النصر وبنى الامة . . .

● وقصة مصرع « كعب بن الاشرف اليهودي » دليل على أن

(١) سورة الحشر ، الآية (١٤) .

رسول الله جزم بأن اليهود لا يرجى منهم عهد ولا ميثاق ولا أمن
ولا مسالة . . .

وكعب هذا شاعر تمادى في ايداء المسلمين حتى آتته شبيب(١)
بنسائهم ، وسار الى مكة يحرضها على رسول الله ويبيكي أصحاب
بدر ، ليس حباً بهم ، بل تحريضا لقريش على المسلمين . ولما عاد
الى حصنه قرب المدينة المنورة ، قال رسول الله - وهو أعلم بما
بنى وبما ربى في نفوس أصحابه - : « من لي بابن الاشرف ، فقد
استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج الى المشركين فجمعهم على
قتالنا ؟ » فقام فدائي تربي على مائدة القرآن العظيم ، وشرب لبان
الايمان من كف رسول الله ، واستقى محبة الله ورسوله بعد ان تزكّت
روحه ، قام « محمد بن مسلمة » (٢) وقال : يا رسول الله أتحب أن
أقتله ؟ قال رسول الله : « فافعل ولا تعجل حتى تشاور سعد
ابن معاذ » ، فشاوره ابن مسلمة فقال له سعد : « توجه اليه واشك
اليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما » ، فسار ابن مسلمة مع نفر
من المسلمين الى رسول الله فقالوا : يا رسول الله لا بد لنا أن نقول
شيئا ونفتعل أقوالا غير مطابقة للواقع ، تسير كعباً ، لنتوصل بذلك
الى التمكن منه ونحتال به على قتله . فقال رسول الله : « قولوا
ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك . . . » (٣) .

(١) يشيب بالنساء : يذكروهم في شعره بسوء .

(٢) ولقبه « أبو نائلة » في سيرة ابن هشام ، و « أبو وائلة » في « الكامل في
التاريخ » ولا يهمننا اختلاف حرف بقدر ما يهمننا مغزى الحادثة -

(٣) أباح رسول الله لهم الكذب ، اذا كان من أجل الخداع في الحرب « فالحرب
خدعة » .

وصل أبو نائلة إلى كعب وقال : ويحك يا بن الأشرف ، اني جئتك بحاجة فاكم عني . قال : أفعل . . . ، قال أبو نائلة : قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ورمتنا من قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا وانى أريدك أن تبيعني طعاما ونرهنك ونحسن في ذلك ، فقال كعب : ارهنوني إبناءكم ، قال : لقد أردت أن تفضحنا ، ان معي اصحابا لي على مثل رأيي . أريد أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ، قال اذا ترهنوني نساءكم ، قال : كيف نرهنك نساءنا وانت أشب اهل يشرب ؟ وقال أبو نائلة : نرهنك من السلاح ما فيه وفاء (وأراد أبو نائلة ان لا يتكر السلاح اذا جاؤوا به) فقبل كعب ، فعاد أبو نائلة لاصحابه في المدينة ، ثم انطلقت « المجموعة الفدائية » الى حصن كعب ، فسار رسول الله يودعهم وقال : « **انطلقوا على اسم الله ، اللهم اعنهم** » .

وصلت « المجموعة الفدائية » الى حصن كعب ، فهتف أبو نائلة فنزل كعب فقال له أبو نائلة : هل لك أن نتماشى الى شعب العجوز بظاهر المدينة فنتحدث بقية ليلتنا هذه ؟ قال : ان شئتم . فمشوا وتحدثوا قرابة ساعة ثم أخذ أبو نائلة رأس كعب ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه وأجهز محمد بن مسلمة « أبو نائلة » عليه . عادت « المجموعة الفدائية » الى القائد الحبيب ، فوجدوه قائما يصلي بالبقيع ، فلما بلغوه **كبّروا** ، فكبّر رسول الله وقال : « **أفلحت الوجوه** » ، قالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا برأس كعب بين يديه فحمد الله على قتله . فأصبح القوم وليس باليهود الا من يخاف

على نفسه . وقال رسول الله (ص) : « من خطرتم به من رجال يهود فاقتلوه » (١) . فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيينة اليهودي فقتله ، فقال له أخوه وهو مشرك : كيف تقتله؟! فقال محيصة لآخيه : لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك ، فقال أخو محيصة : ان ديناً بلغ بك ما أرى لعجب ، ثم أسلم .

وهنا نرى أن العقبة الكؤود التي تحاول عرقلة وطمس دعوة الله ، يجب أن تذلل ، فمصلحة الاسلام فوق كل شيء ، ويسامح لأجله في كل شيء ، فقتل الأفعى « كعب بن الأشرف » فرض ضروري ليسير ركب التحرير في طريقه آمناً . . .

● قتل كعب على يد الأوس (٢) ، فظهر التنافس البديع في عظام الامور عندما أرادت الخزرج أن تحقق عملاً مماثلاً تكسب به رضا رسول الله ، فقالت الخزرج : من يعادي رسول الله كابن الأشرف ؟ فذكر الناس : أبا رافع بن أبي الحقيق اليهودي ومكانه في خيبر . فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم (٢) .

شكل الخزرج « جماعة فدائية » بامر عبد الله بن عتيك ، وسارت هذه المجموعة حتى دنت من حصن أبي رافع وكادت الشمس أن تفرب وأخذ حراس الحصن يفلقون أبوابه ، فقال عبد الله بن عتيك لأصحابه : اقيموا مكانكم ، فاني أنطلق وأتلف للبواب لعتي أدخل . فانطلق فأقبل حتى دنا من الباب ، فتقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته ،

(١) أراد عليه الصلاة والسلام أن يبحث هذه البذرة الخبيثة التي لا خلاق لها .

(٢) الأوس والخزرج : قبيلتان وهما سكان المدينة المنورة عند الهجرة .

(٣) « محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »

• ٤٩/٤٨

فهدتف به البواب الحارس : ان كنت تريد الدخول فادخل فاني اريد
ان اغلق الباب ، فدخل عبد الله ، واغلق الباب وعلقت المفاتيح على
وتد ، فقام عبد الله بعد برهة وفتح الباب فدخل اصحابه معه وصعد
عبد الله وحده الى « عُلَيْة » ابي رافع ، وقد ذهب سماره ، فجعل
كلما فتح باباً اغلقه من الداخل كي يصعب على الناس فتح الابواب
اذا صرخ ابو رافع ، فلا يصلون اليه الا وقد قتل عدو الله .

يقول عبد الله : « فانهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط
عماله لا ادري اين هو ، فقلت : ابا رافع ، قال : من هذا ؟ فاهويت
نحو الصوت ، فضربته ضربة بالسيف وانا دهش » ، فما اغنى عني
تسيئاً ، وصاح ، فخرجت من البيت غير بعيد ، تم دخلت عليه
وقلت : ما هذا الصوت ؟! قال : لامك الويل ، ان رجلا في البنت
ضربني بالسيف ، قال : فضربته فاتخنته (١) فلم اقله ، تم وضعت
حدّ السيف في بطنه حتى اخرجته من ظهره ، فعرفت اني فنلته ،
فجعلت افتح الابواب واخرج حتى انهيت الى درجة فوضعت رجلي
وانا اظن اني انهيت الى الارض (٢) فوقع في ليلة مقمرة وانكسرت
ساقى فعصبتها بعمامتي (٣) وجلست عند الباب ، فقلت : والله
لا ابرح حتى اعلم اقتلته ام لا ؟ فلما صاح الديك فام الناعى بقول :
انعي ابا رافع تاجر اهل الحجاز ، فانطلقت الى اصحابي فقلت :

(١) ائخنه : اي جرحه جراحا اوهنته واضعفه .

(٢) كان عبد الله بن عتيك رضي الله عنه سيء البصر ، كما ورد في « الكامل ح ٢
ص ١٠٢ » .

(٣) هذا من فوائد العمامة : ان اصيب صاحبها عصب بها اصابته ، وان
امسك اسيراً قيده بها ، وان وجد بثراً ولم يجد حبلاً جعلها حبلاً... ونحو ذلك...

النجاة ، قد قتل الله (١) أبا رافع ، فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : ابسط رجلك فيسقطها ، فمسحها فكأنني لم اشتكها قط ، وهذه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

● « يهود اليوم هم أنفسهم يهود الامس » لا يعايشون ولا يسالمون ، فما احرى امتنا اليوم ان تنسأ على نفس الروح التي نسا عليها صحابة رسول الله ، لكى يذيقوا يهود اليوم ما ذاقوه أيام رسول الله : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » (٢) .

● لهفي على الاحفاد ، ألم يذكروا أن جيشهم براياته الخفاقة عندما انطلق الى فتح القسطنطينية أيام معاوية بقيادة يزيد ، قد رسم صورة للبطولة تقرب من الخيال ؟

— سار جيش الاسلام لفتح القسطنطينية ، فتقدم فارس الى يزيد فقال : يا يزيد أدرك أبا أيوب الانصاري ، فانه وجد معنا وهو مكب على قربوس فرسه من الحمى . فعطف يزيد عنق جواده ، وعاد القهقري في مسيرة جيشه اللجب حتى بلغ أبا أيوب ، فدهش لوجوده فقال له في عجب اخاذ : وما الذي أقدمك — أبا أيوب — وقد خلفتك مريضا في أهلك؟!!

فرفع أبو أيوب رأسه من الضنى وقال : « سمعت رسول الله

(١) عمل العمل العظيم ولم ينكبر أو يتباه به ، بل نسبه الى الله عز وجل وفضله عليه .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٥ .

(٣) قربوس : بفتح القاف والراء ، وهو السرج .

صلى الله عليه وسلم يقول : **يدفن رجل صالح تحت سور القسطنطينية (١)**

فأحييت أن أكون أنا ذلك الدفين تحت أسوار الروم» .

أبو أيوب الذي ليس في بدنه قيد أصبع إلا وفيه طعنة أو جرح وقد بلغ من السن عتياً ، يسير غازياً في الجيش وهو في أنفاسه الأخيرة ! وانر هذا المنظر في نفس يزيد ، وكيف لا يؤثر وهذه الكلمات التي انطلقت يضيء مع نورها الليل ، فحلف يزيد **لَيَسْبَلَنَّ** أبا أيوب **مُنَاه** ، فأمر الجيش أن يستحث بلا توقف حتى يدرك أسوار القسطنطينية قبل أن يدرك الموت أبا أيوب ، ولكن الموت سبق ، فأمر يزيد بتكفين أبي أيوب ووضعه بتابوت من الخشب ، وبيئت في نفسه أمرا .

ولما بلغ جند الإسلام أسوار القسطنطينية قال يزيد للابطال :
احملوا أبا أيوب في نعشه على عواتقكم ودعوه يدخل المعركة معكم .
وبدأ القتال وكان في رعب الابطال أبو أيوب الانصاري محمولا على الاكتاف ، يدور مع حامله يمنا ويسرة ، وحاملوه اذا سقط أحدهم ، هب الآخر الى حمله فتزفر روحه فوق نعشه طربة لتحقيق أمنيتها .

● كان قيصر الروم قد علا أسواره ، فدهش لما يشاهد ، دهش للتابوت الذي يتقدم ، ودهش لمقاومة المسلمين البطولية فأدرك أن

(١) رضي الله عنهم ، وصلى الله على مربيهم ، ولدوا في الجزيرة العربية ودفنوا في أصقاع الأرض المتناثرة ، رأوا العار في أن يموتوا على فراشهم بين أهليهم ، وهكذا تكون الهمم وأولئك والله الرجال . وفي الحديث معجزة نبوية إلا وهي : اخبار النبي أن جيش أمته سيصل الى القسطنطينية ، وهذا الحديث بالذات ذكره النبي « ص » وهو في أشد ساعات الحرج ، ساعات غزوة الخندق ...

المسلمين على الرغم من المشقات في طي المسافات قد ظهروا مجالدين ببطولة خارقة ، فطلب وقف القتال والمقابلة للتهادن ، فأرسل يزيد إليه وفدا ، فلما وصل الوفد ابتدرهم قيصر : ما هذا الذي كنت أراه محمولا على عواتق جنودكم المقاتلين يدور حيثما داروا ؟ فقال أحد الوفدين المسلمين : هذا أبو أيوب الانصاري صاحب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، نذر أن يدفن تحت أسوار بلدك ، وأدركه الموت قبيل وصولنا الى هذه الاسوار ، فأمر قائدنا يزيد أن يخوض أبو أيوب معنا المعركة ، فهذا الذي كنت تعينه من أعالي أسوارك وكنت تراه . . .

فبادر قيصر الى اكرام الوفد وحلف امامهم بصوت جاهر : وحق المسيح لأكرم من قائدكم هذا العظيم أبا أيوب الانصاري ، ولأقيم له مفاما مشهورا ، ولأسرجن^(١) له ما دام الفتيل والزيت في الوجود ، وبر قيصر بندره .

ونتوالى العصور وتتوارد ، وأبو أيوب الانصاري بمكانه من التخليد والتمجيد ، رابض كالاسد أمام أسوار القسطنطينية .

هذه الصفحات المطوية من تاريخ أمتنا في ملحمتها الخالدة ، يجب أن تنظم قصائد لتتغنى بها الاجيال خلود الزمن . . .

●●● سقت ما سبق - الامثلة الثلاثة - في هذا التصدير ، لنرى معاً كيف أن العرب الذين كانوا يدينون - في عقر دارهم - للاكاسرة والقياصرة ، قد انطلقوا وتغيروا بعد تربية رسول الله لهم ، فهو

(١) أى سيضء له سراجا .

الذي رباهم وبناهم وزكاهم ، فاستحق أن يقال فيه صلى الله عليه وسلم : « صانع الانسان الكامل ، صانع معرفته وحكمته وفلسفته وربانيته وأخلاقه وفضائله . . . والمعرفة والحكمة والفلسفة من حظ العقل ، والاخلاق والفضائل مع الربانية من حظ الروح . فنبينا (ص) صنع الانسان فكرا وعقلا وتربية وتزكية بما يحقق للانسان وللعالم أجمع سعادته ، وربى النفس الانسانية على مكارم الاخلاق حتى أصبحت نفوس الصحابة ليس لها غذاء الا طلب المجد والنصر والعلم والعلا . . . » (١) .

والذي يربيه ويزكيه رسول الله (ص) يُسمى مؤمناً فمن هو المؤمن ؟

« هو الانسان الذي صنعته النبوة ، له نفس تعشق الحقائق وتتوق اليها مع العقل الناضج الكامل .

المؤمن : هو الانسان الرباني المتعلم الملائكي المزكى ، المؤمن : هو الانسان الذي اكتمل في كل شيء : علما وعملا ، عقلا وفكرا ، وصلة بالله عز وجل ومحبة له . . . » (٢) .

« المسلم المؤمن : هو الانسان العظيم : بالعلم والاخلاق ، بالتربية والوعى ، بالفهم والنفس التي لا تخضع الا للحق ولا تفتش الا عن الحق ، المسلم المؤمن هو الانسان الذي لا يعرف في معاركه الا النصر - لانه لا يدخل حربا الا عن علم وتخطيط وتهيئة - وهكذا

(١) و (٢) هذا التعريف مقتبس من محاضرة سماحة المفتي.العام الشيخ احمد كنفارو التي أقيمت مساء الخميس ١٩٧١/١/٢٨ في جامع دنكر .

صنع النبي من الأميين - رعاة الأبل والغنم - أعظم أبطال سجل التاريخ حوادثهم ... وإذا أردنا أن نعرف فعل النبي في نفوس صحابته وكيف حوّلهم من معدن الى معدن فلننظر الى الجملة التي كان يقولها الصحابي بعد اسلامه : « ما كذبت منذ أسلمت » (١) .

« ولو ربيت الأمة على الايمان والاسلام ، لاشتاق الفرد الى الشهادة كما يشتاق الظامىء الى الماء او كما يعشق الطفل ثدي أمه » (٢) .

● « جاء رسول الله فطهر قلوب الصحابة وزكاهما ، ثم غرس فيها الايمان ، فأنتجوا ما أنتجوا ، وأثمروا ما أثمروا ، والنفس البشرية هي النفس البشرية ، لم تتغير ... فلو هيء لها راع ومرب يزكيها ... لانتج الاحفاد اليوم كما انتج الاجداد بالامس » .

● رأينا - عزيزي القارىء - بطولات في « القادسية » وفي « اليرموك » وسنرى بطولات في « نهاوند » (٣) وفي المعارك الحاسمة القادمة ، في تمة هذه السلسلة ان شاء الله .

سنرى بطولات لا نعرضها للتسلية ، فلقد عرضت في هذه المقدمة قصة « أبي نائلة » قاتل « كعب » ، وقصة « عبدالله بن عتيك » قاتل « أبي رافع » ، وقصة « أبي أيوب الانصاري » لا للتسلية ، بل **لعل الارواح تتحرك وتشتاق لقتال « عدو اليوم الذي هو عدو الامس »** لعل الهمم تتوقد وخاصة اننا نقول : نحن احفادهم وابناؤهم ، فابن

(١) و (٢) من محاضرة سماحته يوم الثلاثاء ١٩٧١/١/٢ في الجامع المذكور .

(٣) نهاوند : بفتح وكسر النون ، نهاوند و نهاوند .

الاسد لن يكون الا شبلا يصير أسدا ولن يكون الابن خنفساً ، والا فلا نسب بيننا وبينهم .

● عرضت ما سبق لنفتش عن ((أبي نائلة)) زماننا ، ولنبحث عن ((عبد الله بن عتيك)) وقتنا ، ولنجد ((أبا أيوب)) عصرنا ، وما هم الا أنا وأنت ... فهل سنرى : أبا أيوب هذا الزمن يسير الى الجهاد والنضال متحاملا على نفسه يحته حبه لجهاد ((أعداء اليوم الذين هم أنفسهم أعداء الامس)) حبه لله ونفسه المزكاة من قبل مربٍ عارف بالله ، نراه متحاملا باتجاه ((قسطنطينية اليوم)) باتجاه ((القدس)) لارجاعها الى حظيرة العروبة . نراه متحاملا ... فيلهب الحماس ، ويوقد الهمم في نفوس الشباب فيسطروا بطولات كبطولات الآباء .

●● وأخيرا ... محبة وتحية وأمل ...

— محبة : للمربي الاول ، والمنقذ الاول ، وباعث الهمم ، وموظف العرب فصلى الله عليه وسلم .

— وتحية : الى الابطال الذين ظللتهم الرايات الاولى في القادسية واليرموك ونهاوند ...

— وأمل : أن نرى — وبإذن الله — « الفارس يعلو جواده ثانية ، ليعيد لامته مكانتها تحت الشمس » .

والآن ... الى نهاوند وبطلها : النعمان بن مقرن المزني .
على بركة الله ،

وهو من وراء القصد .

شوقي أبو خليل

نھاوند
(فتح الفتوح)

- عام : ۲۱ هـ .
- ۳۰,۰۰۰ في جيش الايمان .
- ۱۵۰,۰۰۰ في جيش الفرس .

●●● قال عمر :

- « والله لاولين امرهم رجلا يكون
- اول الاسنة اذا لقيهم غدا » .
- قيل له : « من هو ؟ » .
- قال : « هو النعمان بن مقرن المزني » .
- فقالوا : « هو لها ... » .

من الفوائد كسبة الى نھاوند

● فالعمر : « لوددت أن بين السواد
وبين الجبل سداً ، لا يخلصون إلينا
ولا نخلص إليهم ، حسبنا من الريف
السواد ، اني آتت سلامة المسلمين
على الانفال » (١) .

نزل سعد بن أبي وقاص بعد الانتصار الرائع في القادسية ،
القصر الابيض « قصر كسرى » وهو يقول : « كم تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك
وأورثناها قوماً آخرين » (٢) .

أما فلول الفرس فقد تجمعت في « جلولاء » فنسقهم « مهران » ،
وجعل حول المدينة خندقاً وقال بعضهم لبعض : « ان افترقتم لم
تجتمعوا ابداً ، وهذا مكان يفرق بيننا ، فهلّموا فلنجتمع للعرب به
ولنقاتلهم ، فان كانت لنا فهو الذي نريد ، وان كانت الاخرى كنا
قد قضينا الذي علينا ، وأبلىنا عدواً » .

فحفروا خندقاً حول « جلولاء » واجتمعوا متكاتفين و « مهران »

(١) الكامل ٣٦٣/٢ ، والطبري ٣٩/٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ٢٥ .

بوحد بينهم ويلم شعثهم وينفخ فيهم روح الثبات . أما يزدجر فقد استفر في « خلوان » وصار يمد « جلولاء » بالرجال والاموال والميرة ، ومما زاد الامر تعقيدا للمسلمين فيما بعد ، أن الفرس طرحوا حول خندقهم « الحسك » (١) الاطرقاً لهم يعرفونها .

كتب سعد بذلك الى القائد الاعلى والمخطط الاول لهذه المعارك الحاسمة ، ومنتقى قوادها الابطال ، فكتب عمر رضي الله عنه الى سعد : « أن سرّح هاشم بن عتبة الى جلولاء في انني عشر الفا ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته سِعْر بن مالك ، وعلى مبسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، واجعل على ساقته عمرو بن مرّة الجهني » .

نزل هاشم على مهران سنة ١٦ هـ ، آذار ٦٣٧ م ، فحاصر الفرس في جلولاء عندما احاط بخندقهم ، وسار هاشم القائد بين جنده يقول : « ان هذا المنزل له ما بعده » لبثت الهمم ، فلهذا الموقف أهمية : فاما نصر فضربة قوية للفرس مؤثرة توهن تجمعهم وبالتالي مقاومتهم ، واما توانيتم فسيكون الموقف لصالح الفرس ، حبت سيأمل يزدجر أن يعيد ملكه ، فاثبتوا عباد الله ، خاصة وأن عدد جيش الاسلام أكثر من اني عتر الفا فلن يهزم عن قلة .

زاحف المسلمون الفرس مرات عديدة ، ولم يتحقق نصر ؛ فقد كان الفرس يرجعون الى خنادقهم فيتحصنون بها ، فطال الوقت

(١) الحسك : « محرّكة » نبات شائك ، وهو هنا من الحديد على شكل النبات الشائك .

وخشي المسلمون أن يقال عنهم : ان حب الدنيا أخرجهم عن الشهادة أو النصر ، فصمّم الجميع على الهجوم الى خنادق الفرس ، وافتحامها عليهم مهما كلف الامر ، فصادفوا في سبيل ذلك حربا هائلة سببها بالحرب ليلة « الهرير » (١) . ولكن بطل هجوم القادسية كان هو بطل هجوم جلولاء ، كان البطل الذي سطر ملاحم الخلود في القادسية بطل الهجوم في جلولاء ، انه القعقاع بن عمرو ، فتقدم الناس وراه ، فلم يحم لهم شيء ، حتى انتهوا الى باب الخندق ، فادا بالقعقاع قد أخذ به وافتتحه وأخذ الفرس في الهزيمة فقتل منهم كثير ، فسميت « جلولاء » بما جلّها من قتلهم فهي « جلولاء الوفيعة » .

قدم « زياد بن أبي سفيان » الى عمر ، يحمل خبر النصر في جلولاء ، فوصف له ما صنع الناس ، ووصف بطولاتهم وايمانهم الدافع الى الاستشهاد ، فقال عمر : « هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به ؟ » .

قال زياد : والله ما على الارض شخص أهيب في صدري منك ، فكيف لا أفوى على هذا من غيرك ؟ .

فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا ، فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ، فقال زياد : (وانّ جنّدا أطلقوا بالفعال لساننا) أي : ما تصنع زياد خطبته ولم يرصعها بأنواع البلاغة اللفظية ، بل ما رآه من فعال الجند أنطق لسانه دون تصنع .

(١) راجع كتاب القادسية ص ٦٠ وما بعدها .